الصبر

obeikandl.com

obeikandl.com

الصبر على مشقة التكاليف

قال اللّه سبحانه وتعالى: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧] وهذه كلها صفات للذين اتقوا اللّه وأعدّ اللّه لهم جنات تجري من تحتها الأنهار والأزواج المطهرة ورضوان من اللّه، وهم صابرون وصادقون وقانتون ومنفقون في سبيل اللّه ومستغفرون بالأسحار. صابرون على ماذا؟ إنهم صابرون على تنفيذ تكاليف اللّه، لأننا أول ما نسمع التكليف فلنعلم أن فيه مشقة، والتكاليف الشرعية فيها مشقة لأنها قيدت حرية العبد.

لقد خلقك الحق سبحانه خلقاً من خلقه صالحاً لأن يفعل كذا أو ألا يفعل كذا، وساعة يقول لك: افعل، فإنه قد سدّ عليك باب «لا تفعل» وساعة يقول لك: لا تفعل، فإنه يكون قد سدّ عليك باب «افعل».

وهكذا يكون تقييد الإرادة، وتقييد المخلوق على هيئة الاختيار فيه مشقة، فإذا ما جاء أمر اللّه سبحانه بـ: «افعل» فقد يكون الفعل في ذاته شاقاً؛ فإن صبرت على مشقة الفعل الذي جاء بواسطة «افعل» فأنت صابر لأنك صبرت على الطاعة، وقد تصبر عن المعصية عندما يلح عليك شيء فترفض أن ترتكب الذنب فتكون قد صبرت في ارتكاب الفعل.

إذن.. فالصابرون لهم اتجاهان اثنان، لأن التكليف إما يكون بـ: «افعل»، وإما أن يكون بـ: «لا تفعل».

فساعة يأتي التكليف بـ: «افعل» فقد تأتي المشقة، وعندما تنفذ التكليف بـ: «افعل» فأنت قد صبرت على المشقة.

وعندما يأتي التكليف بـ: «لا تفعل» كأمر الحق سبحانه وتعالى بعدم شرب الخمر، أو النهي عن السرقة مثلاً؛ فأنت قد صبرت عنها.

إذن.. فـ: «افعل» و«لا تفعل» استوعبت نوعي التكليف، وبقيت بعد ذلك أحداث لا تدخل في نطاق «افعل» و«لا تفعل» وهي ما ينزل عليك نزولاً قدرياً بدون اختيار منك، بل هي القهرية والقسرية.

فساعة أن يطلب منك أن تفعل أي أنه قد خلقك صالحاً ألا تفعل، وإلا إن كنت مجبراً على الفعل فقط فإنه لم يكن قد كلفك بـ: «لا تفعل»، وكذلك إذا قال لك الحق سبحانه وتعالى: «لا تفعل».

والشيء القدري الذي لا اختيار للإنسان فيه، ماذا يفعل فيه المؤمن؟ إنه يصبر عليه، ويرضى به؛ لأنه آمن باللَّه تعالى رباً. والرب هو الذي يتولى تربية المربى لبلوغه حد الكمال المنشود له، فإذا جاء الحق بأمر لا اختيار للإنسان فيه كالمرض أو الزلازل، أو حتى وقوع حجر من أعلى، أو إصابة برصاصة طائشة، كل ذلك هي أمور لا دخل لـ«افعل» و«لا تفعل» فيها.

وهنا يكون الصبر على مثل هذه الأمور هو إيمان بحكمة من أجراها عليّ، لأن الذي أجراها رب، وهو الذي خلقني؛ وأنا صنعته، وما رأينا أحداً يفسد صنعته أبداً. فصبر الإنسان على هذه الآلام والشدائد يدخله في باب الصابرين.

وعلى هذا فالصبر أنواع: صبر على الطاعة ومشقتها، وصبر عن المعاصي ومغرياتها، وصبر على الأحداث القدرية التي تنزل على الإنسان بدون اختيار منه.

obeikandl.com

الصبر
على الطاعة.. وعن الشهوات

المعصية شهوة محببة للنفس والطاعة قد تتعبك، نقول: تذكر الآخرة لأنه لا خير في خير يؤدي إلى النار ولا شر في شر يؤدي إلى الجنة.

الحق سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَٱصْبِرْ﴾ [الكهف: ٢٨] وهذه الكلمة جاءت لتخدم كل ما هو مطلوب للطاعة والاستقامة، وتجدها دائماً في الطاعات.

واقرأ قوله سبحانه تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ﴾ [طه: ١٣٢] فكل طاعة تحتاج إلى صبر، والصبر هنا نوعان: صبر على، وصبر عن.. ففي الطاعات صبر على مشقة الطاعة، فمثلاً عندما تقوم لتصلي الفجر تجد صعوبة خصوصاً في فصل الشتاء، نقول لك حينئذٍ: اصبر على هذا، ونقول لك حين إلحاح شهوات النفس: اصبر عن شهواتك.

إذن.. فالصبر عن شهوات النفس، والصبر على مشقة الطاعة.

والصبر على إطلاقه مطلوب في الأمرين: في الإيجاب وفي السلب، وفي الطاعة وفي تجنب المعصية. ولذلك قيل: «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات»[(١)]. فاصبر على المكاره واصبر عن الشهوات، فالصبر على والصبر عن أمر مطلوب في العبادة، ولذلك فافرض أن إنساناً يريد أن يأكل لحماً وليس عنده مال، هل يقال له: اصبر عليها أو يقال له اصبر عنها؟ يقال له: اصبر عنها أي امتنع واكتف بما آتاك الله تسترح نفسك، فلا تذهب مثلاً لتستدين حتى تأكل هذا اللحم، ثم بعد ذلك تظل فترة طويلة تعاني مالياً، والزهاد يقولون: لا يوجد شيء اسمه غلاء ولكن توجد حاجة اسمها «رخص النفس»، لذلك فالشاعر يقول:

إذا غلا شيء عليّ تركته ... فيكون أرخص ما يكون إذا غلا

---

(١) روى البخاري [٦١٢٢] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «حجبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره» ومسلم [٢٢٨٢/ ١] عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه.

الصبر الجميل

ونبي اللّه يعقوب عليه السلام ساعة رأى قميص ابنه يوسف وهو ملطخ بالدم من الخارج ولكنه غير ممزق قال كما جاء في القرآن الكريم: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ [يوسف: ١٨].

سولت بمعنى: سهلت أو يسرت لكم الكذب.

وقوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨] الصبر مطلوب في هذا الموقف، وأنت إما أن تصبر على كذا وإما أن تصبر عن كذا، تصبر على شيء فيه ألم لك، وتصبر عن شيء فيه شهوة لك؛ فتصبر عن شرب الخمر أو لعب القمار أو الربا، وتصبر على المرض.

وقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ فكأن هناك صبراً غير جميل.

والصبر الجميل: هو الذي ليس فيه شكوى ولا جزع.

والصبر غير الجميل: هو الذي فيه شكوى ونواح وبكاء وجزع.

اللّه سبحانه وتعالى يقول لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥]. والصبر الجميل ليس فيه هلع ولا جزع، ولا شكوى.

والذين يريدون أن يتصيدوا بجهل أشياء يزعمون أنها متناقضة يقولون إنه ما دام يعقوب قد قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ والصبر الجميل لا شكوى فيه فإن يعقوب نفسه الذي قال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦] فكيف يكون الصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه ولا حزن ولا جزع ثم يقول يعقوب: إنه يشكو بثه وحزنه إلى اللّه؟

نقول لهم: إنكم لم تفهموا، هناك فرق بين شكوى إلى اللّه وشكوى من قدر اللّه.

وصبر جميل يعني: لا أشكو من قدر اللّه إلى بشر ولا أعلن حزني من قدر اللّه أمام بشر، ولكن الشكوى للّه دعاء وقرب من اللّه، وما بين العبد وربه هو بلا حدود؛ فالذي يشكو إلى اللّه هذا صبر جميل، والذي يشكو من قدر اللّه هذا صبر غير جميل.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨] كأن الصبر شاق على النفس، فيعقوب لا يستطيع أن يصدق ما يقوله أولاده، وفي الوقت نفسه لا يستطيع أن يجمع الناس ويقول لهم: أبنائي كذبوا عليّ، لقد أخذوا يوسف ولم يعودوا به فابحثوا لي عن يوسف.

تماماً كالرجل الذي قالوا له: ابنك قتل أخاك. فقال:

تقول للنفس تأساء وتغريه
إحدى يدي أصابتني ولم تُرِدِ
كلاهما خلف عن فقد صاحبه
هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

فالمعونة من اللَّه في مثل هذه الحالة أن نطلب منه رحمته وصبره من قسوة ما حدث، ولا نتجه بذلك إلى خلق اللَّه لأن الخالق موجود، ولذلك علمنا رسول اللَّه ﷺ أنه إذا حدث أمر جلل فزع الإنسان إلى الصلاة، وأنه إذا صادفه أمر يفوق أسبابه فزع للصلاة ووقف بين يدي المسبب سبحانه وتعالى[1].

(١) روى أبو داود [١٣١٩] عن حذيفة رضي اللَّه تعالى عنه قال: «كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر صلى». وحسنه الألباني.

الدعوة للصبر

إن كل كلمة في القرآن جاءت لمقتضى حال يحتم أن تكون في موضعها، فها هو الحق فيما أوحى به لقمان لابنه: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧] وفي آية أخرى يقول: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣] في الآية الأولى لم يورد اللام لتسبق من، وفي الآية الثانية أورد اللام لتسبق من، وذلك ليس من قبيل التفنن في العبارات. إن قول الحق: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ هذه دعوة للصبر على مصيبة ليس للإنسان غريم فيها كالمرض أو موت أحد الأقارب، وهذه الدعوة للصبر تأتي هنا كعزاء وتسلية.

أما قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ والدعوة للصبر هنا مع الغفران تقتضي وجود غريم تسبب للإنسان في كارثة، والله يطلب من المؤمن هنا أن يغفر لمن أصابنا وأن نصبر. وما دام هناك غريم فالنفس تكون متعلقة بالانتقام، وهذا موقف يحتاج إلى جرعة تأكيدية أكثر من الأولى، فليس في الموقف الأول غريم واضح نطلب منه الانتقام. إن وجود غريم يحرك في النفس شهوة الانتقام، ولذلك يذكرها الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾.

obeikandl.com

الصبر والمصابرة

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] هذه الآية هي ختام سورة آل عمران. وسورة آل عمران جاءت بعد سورة البقرة، والسورتان تشتركان معاً في قضية عقدية وهي الإيمان بالله تعالى والتصديق برسول الله محمد ﷺ وبما جاء به من عند الله خاتماً للرسالات ومهيمناً عليها.

ولذلك تكلم الحق سبحانه عن قضية: الإيمان، وقضية الهدى، وقضية الكتاب، ثم عرض الحق سبحانه لما يتعرض له هذا المنهج الخاتم الجديد من رواسب ديانات سابقة تحولت عن منهج الله إلى أهواء البشر؛ فجادل سبحانه وتعالى في سورة البقرة اليهود، وجادل سبحانه في سورة آل عمران النصارى.

وبعد ذلك عرض الحق سبحانه وتعالى قضية إيمانية تتعلق بموقف المسلمين المؤمنين بالله وبتصديق رسوله في معترك الحياة، وعرض معركة من المعارك ابتلي فيها المؤمنون ابتلاء شديداً، ثم عرض للقضية الإيمانية حين يثوب المؤمن المتخاذل إلى منهاج ربه، وبعد ذلك يقول تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: يا من آمنتم بالله تعالى رباً، وصدقتم بكتابه الذي أنزل على رسوله محمد ﷺ، واتبعتم رسوله ﷺ فيما أخبر، وشاهدتم ما حدث من تمحيص للحق مع اليهود، وتمحيصاً للحق مع أهل الكتاب، هذا التمحيص لا جدلياً نظرياً؛ ولكن واقعياً عملياً في معركة من أهم معارك الإسلام وهي معركة أُحد.

فيا من آمنتم إيماناً مصفى بهذه المصافي كلها استمعوا إلى من آمنتم به فإنه يقول لكم: ﴿ٱصْبِرُواْ﴾ وهذا أمر، ويتلوه أمر آخر: ﴿وَصَابِرُواْ﴾، ويتلو ذلك أمر ثالث: ﴿وَرَابِطُواْ﴾، ومن بعد ذاك أمر رابع: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ إنها أربعة أوامر، والغاية من هذه الأوامر هي: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

إذن.. فمن عشق الفلاح عليه أن ينفذ هذه الأربعة: يصبر ويصابر ويرابط، ويتقي الله لعله أن يفلح.

إن الحق سبحانه وتعالى حين يعبر عن الفلاح إنما يعبر بالفلاح عن أمر مشهود محسّ للناس جميعاً.

إنه سبحانه لم يقل لك: أيها المؤمن افعل ذلك لتنجح أو لتفوز إنما جاء الحق بكلمة الفلاح، والفلاح مأخوذ من فلح الأرض. وفلح الأرض هو: شقها لتتعرض للهواء لتكون سهلة تحت الجذير البسيط من البذرة.

فإذا ما فلحت الأرض بهذه المشقة حرثاً وبذراً وتعهداً بالري فماذا يحدث لك من الأرض؟ إنها تؤتيك خيراً مادياً مشهوداً ملحوظاً.

إذن.. فقد ضرب اللّه المثل في العمليات بالأمر المحس الذي يباشره الناس جميعاً.

ولكن أي فلاح هذا الذي أراده الحق سبحانه وتعالى؟ إنه فلاح الدنيا وفلاح الآخرة؛ أما فلاح الدنيا فهو أن تنتصروا على خصومكم، وأن تعيشوا معيشة آمنة مستقرة رغدة، وفلاح الآخرة أن تأخذوا حظكم من الخلود في النعيم المقيم.

وما دام الحق سبحانه يقول: ﴿اَصْبِرُوا﴾ فهذا إيذان بأن هناك مشقة، ذلك أن الإيمان المؤدي إلى الجنة المحفوفة بالمكاره لا بدّ أن تكون فيه مشقات.

ففي الأوامر صبر على تنفيذها، وفي النواهي صبر على إيقاعها، وكل ذلك في الذات الإنسانية.

وبعد ذلك عندما تتعدى المسألة من الذاتية إلى المحيط الخارجي يقول الحق سبحانه: ﴿وَالصَّٰبِرِينَ فِي الْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧] لذلك ففي الصبر نجد صابراً على وصابراً عن، وهناك صابر في البأساء.

ولكن كيف تصيبهم البأساء من المجتمع الخارج عليهم؟

لأن منهاج الحق إنما جاء ليصوب خطأ في حركة الحياة، والخطأ في حركة الحياة يستفيد منه بعض الناس، وهؤلاء هم الحريصون على أن يصدوا عن منهج اللّه تعالى.

ولكن ماذا يحدث منك أيها المؤمن لو صبر عدوك الذي جئت لتدحض منهجه الباطل بمنهجك الحق؟ إنك مطالب في هذا الموقف أن تصابره، ما معنى ذلك؟

إن معنى: «اصبر» غير معنى: «صابر»، فـ: «اصبر» تخص أمراً في النفس ستصبر عليه.

أما معنى: «صابر» هو أن يجيء المؤمن بصبر فوق صبر الذي يعارضه، وكل مادة «فاعل» في اللغة هكذا. مثال ذلك عندما نقول: «فلان نافس فلاناً». ما معنى «نافسه»؟ إن المنافسة تكون بين اثنين يصبو كلاهما إلى غاية واحدة، وكل واحد يريد أن يصل إليها، والذي يريد أن يصل إليها يريد أن يصل إليها بحرص، فإن حرص المنافس الأول بخطوة، فالمنافس الثاني يحرص بخطوتين. هذه هي المنافسة، إنها مغالبة على الفوز. ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦] والأصل فيها إطالة النفس حتى يغطس الإنسان في الماء، كأن يقول رجل لآخر: تنافسني؟ أي عرض عليه أن ينزلا معاً تحت الماء، ليرى من منهما أطول نفساً فالأطول نفساً هو الفائز.

والناصح الذي تمرس على ذلك العمل لا ينزل تحت الماء في نفس متردد، لأنه يأخذ كمية من الهواء بشهيق يتسع له تجويف صدره كله ليكون عنده حصيلة أن يمكث مدة أطول من الآخر. أما الذي يغطس وليس عنده هذه الحصيلة الطويلة فإنه يأخذ شهيقاً يتبعه بزفير فلا يقوى على الاستمرار تحت الماء.

إذن.. فقول الرجل: نافسني؛ كان المقصود به أن يدخل معه في منافسة ليرى القوم من الذي يستطيع أن يبقى غاطساً تحت الماء مدة أطول من الآخر، أي: من سيكون عنده في تجويف صدره كمية من الهواء يستطيع بها أن يحفظ بها حياته مدة طويلة، وهذا لا يتأتى إلا إذا أخذ الإنسان شهيقاً يملأ تجويف الصدر كله.

ولذلك فالأطباء عندما يريدون اختبار الرئة يقولون للمريض: خذ نفساً طويلاً. أي إنه يريد اختبار قدرة الإنسان على التنفس، والمصابرة مأخوذة من مادة «فاعل» أي: يصابر الإنسان خصمه بأن يصبر أكثر، والمصابرة تقتضي عدواً يصابر المؤمنين، ولذلك احتاجت المصابرة إلى المجتمع كله ليتكاتف. وكذلك جاء قول الحق سبحانه وتعالى في سورة العصر: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣] أي: إنك أيها المؤمن إذا رأيت أخاً من إخوانك المؤمنين يخور في مصابرته فحثه على المواصلة.

الصبر والمصابرة.. لماذا؟

يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣] إن الحق سبحانه لم يقل: إن جماعة توصي جماعة، لا.. لقد أمر سبحانه بالتواصي، أي: أن تكون مرة مُوَصِّياً ومرة مُوَصًّى. فساعة لا يكون لديك ضعف الأغيار فأنت توصي، وساعة يوجد ضعف الأغيار فأنت توصى، وبذلك يكون كل واحد منا موصياً في وقت، وموصًّى في وقت آخر.

ولا نتواصى هذه التوصية على الصبر إلا إذا كنا تواصينا أولاً على الحق الذي من أجله نشأت المعركة بين صابر وصابر.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] لقد عرفنا الصبر وعرفنا المصابرة، فما هي المرابطة؟

المرابطة هي أن تُشعر عدوك أنك مستعد دائماً للقائه، لذلك يقول الحق سبحانه وتعالى. ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] وهذا يعني أنها خيل مربوطة للجهاد في سبيل الله ومستعدة للانطلاق في أي وقت. ولذلك قال رسول الله ﷺ: «خيركم ممسك بعنان فرسه كلما سمع هيعة طار إليها»، أي: إن خير المؤمنين هو الممسك بلجام فرسه لينطلق مجاهداً في سبيل الله؛ وهذا يعني: أن على المؤمنين ألا ينتظروا حلول الكوارث بهم ثم يفكرون بعد ذلك في مواجهتها. لا.. لا بدّ أن يكون استعدادنا من قبل حدوثها.

ولذلك حين يعلم عدوك أنك مرابط له، مستعد للحركة في أي وقت، فإنه يرهبك ويخافك، أما إذا كنت غافلاً ساعة أن يدهمك عدوك فإنه بذلك يكون قد أخذ منك الجولة الأولى.

إذن.. ففائدة الرباط أن يعلم عدوك أنك غير غافل؛ وأنك مستعد لملاقاته في كل وقت وحين، حينئذٍ يهابك ويعمل لك ألف حساب.

obeikandl.com

وهنا يثار سؤال: هل الرباط فقط أن ترابط بالخيل من أجل مواجهة العدو الذي قد يفاجئك في أي وقت؟ لا.. أشكال الغزو في العصر الحديث تعددت وتنوعت، فلم تعد هي الحرب العسكرية فقط، هناك الغزو الفكري، والثقافي، والأخلاقي، والاقتصادي.. إلخ، لذلك فالمرابطة في معناها الصحيح هي الإعداد لكل ما يمكن أن يرد عن الحق غدر الباطل ومكره.

ولهذا.. فمن المرابطة أن تعد الناشئة الإسلامية لوافدات الإلحاد قبل أن تأتي لماذا؟ لأن المسألة ليست كلها غزوا بخيل فقد يكون الغزو كما قلنا بالفكر الذي يتسرب إلى النفوس بحيث لا تشعر إلا بعد أن يتمكن منها.

إذن.. لا بدّ أن تكون مواجهة هذا الغزو والاستعداد له لوناً من الرباط، بحيث إذا جاءت قضية من قضايا الإلحاد تفد على أي واحد من المؤمنين فإن المؤمن يجدّ في ذاته الخميرة الإيمانية التي يصد بها ذلك الهجوم.

ولذلك قلنا: إن آفة المناهج العلمية أنهم أخذوا مناهجهم عن الغرب؛ فدرسوا التاريخ كما يدرسه الغرب، ودرسوا الاجتماع كما يدرسه الغرب، ودرسوا الطبيعة كما يدرسها الغرب؛ ونسوا أن لنا ديننا يحمينا من فساد قد تخفّى خلف مناهج دراسة هذه الأشياء.

فعندما يأتي واحد دارس للتاريخ بمنهج غربي فيقول لي: إن الثورة الفرنسية هي التي أعلنت حقوق الإنسان.. هنا يجب أن يكون عندنا مناعة وترابط ونقول لأولادنا: إذا قالوا لكم ذلك فقولوا لهم: في أي سنة نشأت الثورة الفرنسية؟ لا تصدقوا أنه قبل الثورة الفرنسية لم يكن هناك إعلان لحقوق الإنسان؛ لأنكم جهلتم ما عندنا من الدين، فمنذ أربعة عشر قرناً أو يزيد جاءت حقوق الإنسان في القرآن. فلو أن كل تلميذ حين سمع أن الثورة الفرنسية هي التي أعلنت حقوق الإنسان قال لهم: إن ما تقولونه ليس صحيحاً، لأن الصحيح هو أن الإسلام قد أعلن حقوق الإنسان منذ أربعة عشر قرناً.

وحين يقول قائل يدرس في التقنين: إن ألمانيا هي أول من التفت إلى الإساءة في استعمال الحق.

نقول له: لقد انتبهت ألمانيا إلى ذلك في القرن السابع عشر، ولكن الإسلام منذ أربعة عشر قرناً جاء بمعالجة الإساءة في استعمال الحق. وكونك تجهل تشريع الله فإن هذا لا يجب أن يؤدي بك إلى أن تطمس معالم الحق في منهاج الله.

وإذا قال قائل يدرس الطبيعة: إن الطبيعة أمدت الحيوان الفلاني باللون الذي يناسب البيئة التي يحيا فيها حتى لا يفتك به عدوه وحتى يستطيع هذا الحيوان أن يضلل عدوه. لهذا الإنسان نقول: إن الطبيعة لا تمد كائناً، إنما الطبيعة نفسها تتلقى المدد من إله خالق قادر، فلا تقل إن الطبيعة أمدت؛ ولكن عليك أن تعرف أن هناك خالقاً عظيماً خلق الطبيعة وأمدها بما يتناسب ومقتضيات الحياة.

هذا هو الرباط؛ إن الرباط لا يكون بقوة عسكرية فقط لأن خصوم الإسلام يئسوا أن ينتصروا على الإسلام بقوى عسكرية بعد أن كتلوا كل قواهم في الحروب الصليبية، ولم يبق لهم إلا أن يتسللوا من خلال مناهجهم ومن خلال المستشرقين الذين يفدون إلى بلادنا تحت أسماء ومسميات لها بريق، ولكنه السم في العسل ومعهم المستغربون منا الذين يذهبون إلى هناك لينقلوا لنا ثقافات أجنبية بعيدة عن منهجنا.

إذن.. فالرباط الآن يجب أن يكون في الأفكار والمواجهة والمعتقدات. إن خصوم الإسلام يحاولون الدخول على الناس دخولات يجب أن ننبه النشء إليها، إنهم يقولون أوروبا ارتقت حضارياً.. وأنتم تخلفتم كمسلمين.. لمثل هذا القائل نقول: هل كان التخلف مقارناً للإسلام؟ لا.. لأن الإسلام كان الدولة الحضارية الأولى في العالم لمدة ألف سنة، وكانت أوروبا التي يتم الآن التشدق بحضارتها، كانت تعيش ما يسمونه هم بعصور الظلام. إن خصوم الإسلام يعرفون تاريخنا جيداً، ويعلمون أنه الحق، ولكنهم يحاولون إخفاء الحقائق.

إذن.. فالمرابطة أن توضح أمور دينك وتقف أمام أي وافدة إلحاد قبل أن تفد بالعدوان المسلح، وأن تتصدى لغزو هذه الأفكار والمبادئ.

وجماع كل ذلك هو الصبر؛ الصبر على.. والصبر عن.. والصبر في، وكذلك المصابرة للعدو، والتواصي بالصبر، والرباط بمعناه المادي ومعناه المعنوي، أي بالأمور المادية والأمور القيمية المعنوية.

وبعد ذلك يقول تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، أي: اجعلوا بينكم وبين غضب ربكم وقاية.. وما هي الوقاية؟ أن يطيع الإنسان أوامر المنهاج. والطاعة تقتضي أن ينفذ الإنسان ما أمر الله به وأن ينتهي عما نهى.

فالذي يفسر التقوى بأنها الطاعة نقول له: نعم، هذا صحيح.. لأن الطاعة هي الوسيلة إلى الوقاية من غضب الله وعذابه.

إذن.. فالذي يفسر التقوى بالطاعة فهو يفسر بالوسيلة، والذي يفسر التقوى بالوقاية من غضب الله فهو يفسر بالغاية.

والتقوى طريق إلى الفلاح، والفلاح إما أن يكون في الدنيا فترتفع كلمة الحق وينتصر المؤمنون باتباعهم لمنهج الله فلا يذلهم أحد، ولا يجعلهم أحد تابعين له، وهذا لون من الفلاح. ولكن على فرض أن عدوكم قد صار قوياً وضعفتم أنتم أيها المؤمنون فثقوا أنكم تعملون لفلاح آخر، وإلا فالذين يخاطبون بهذه الآية قبل أن يدركوا نصر الإسلام على أعدائه، كيف يفسرون الفلاح؟ لقد ظلوا متعبين ومضطهدين وغير مستقرين في حياتهم وبعد ذلك ماتوا قبل أن يتمكن المسلمون من حكم الدنيا، هؤلاء كيف يكون فلاحهم؟ إن فلاحهم في الآخرة. ولذلك نجد الاحتياط في قصة أهل الكهف، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ۖ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا * إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ١٩، ٢٠].

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ فهذا انتصار عليكم في الدنيا؛ ولكنكم ستأخذون فلاح الآخرة، وإن ردوكم إلى دينهم فلن تفلحوا في الدنيا أو الآخرة.

إذن.. فعناصر الفلاح المرادة للإسلام إما في الدنيا وإما في الآخرة وإما بينهما معاً هي أن تنفذ أوامر الله تعالى، وامتثال قوله سبحانه: ﴿ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

ثمرة الصبر والتقوى

يقول الحق عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣] إذن فمدد الله لكم إنما يتأتى لمستقبل إيماني، فإن لم يوجد المستقبل «بكسر الباء» فلا يوجد المدد. وقلنا قديماً: إن الإنسان عندما يصيبه عجز عن المستقبلات السماوية فإن على الإنسان أن يصلح جهاز استقباله.

إن إرسال السماء لا يتوقف ولكن جهاز الاستقبال عند الإنسان قد يفسد، فإذا أراد الإنسان أن يحسن الاستقبال عن الله فلا بد أن يكون جهاز استقباله سليماً.

وكأن الحق سبحانه وتعالى يريد أن يوضح لنا مسألة جهاز الاستقبال هذه فيقول سبحانه مخاطباً رسوله ﷺ: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤] ويوضح الحق كيفية إصلاح جهاز الاستقبال لتلقي مدد الله فيقول سبحانه وتعالى: ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥].

إذن.. فالحق سبحانه وتعالى ضرب المثل بالصبر والتقوى في بدر مع القلة فكان النصر، وهنا في أُحد لم تصبروا، فساعة رأيتم الغنائم فلم تصبروا عنها ولم تلتزموا أمر الله تعالى المبلغ على لسان رسوله ﷺ في التزام أماكنكم، فكيف تكونون أهلاً للمدد؟!

وقوله تعالى: ﴿إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾ وهذا يعني: أن الصبر والتقوى هما العدة في الحرب، فلا يقولن أحد: إن المسألة عدد ومعدات. إن على المؤمنين أن يعدوا ما استطاعوا، لذلك لم يقل الحق: أعدوا ما تظنون أنه يغلب العدو. لكن أمر الحق للمؤمنين أن يعدوا ما في استطاعتهم، والله يكمل الباقي. والبشر في ذواتهم يصفون هذا. ومثال ذلك، لنفرض أن هناك تاجر جملة تأتي له البضائع محملة على اللوريات الضخمة في صناديق وطرود ضخمة، والتاجر يجلس يراقب العمال وهم يفرغون البضائع، وجاء عامل ليحمل صندوقاً ضخماً فغلبه الصندوق، فإذا بالتاجر وبلا شعور يهب لينقذ العامل ويحمل معه الصندوق، لقد استنفد العامل أسبابه،

ولما عجزت أسبابه قذف الله في قلب التاجر الخاطر ليقوم بإنقاذ العامل. إن التاجر يعنيه الأمر حفاظاً على عامله؛ وعلى ماله؛ لذلك مدّ أسبابه، فما بالنا بالحق سبحانه وتعالى، إنه يأمر الإنسان بأن يأخذ بكل الأسباب، وعندما يرى الإنسان أن أسبابه قد انتهت والموقف أكبر منه فإن الموقف ليس أكبر من الرب الخالق.

ولذلك يقول الحق سبحانه في شأن مدده للمسلمين في غزوة بدر: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦] فإياك أن تظن أن المدد بالثلاثة آلاف، أو الخمسة آلاف هو شرط في نصر الله لك بذاتك أو بالملائكة؛ إنه الله قادر على أن ينصرك بدون ملائكة؛ ولكنها بشرى لإيناس النفس البشرية؛ فساعة يرى المؤمنون المدد من الله في صورة ملائكة تقاتل الكفار معهم، خاصة وأن الكفار كانوا متفوقين عليهم في العدد فإن قلوب المؤمنين تطمئن وتثق بنصر الله لهم.

إذن.. فالملائكة مجرد بُشرى؛ ولكن النصر من عند الله العزيز الذي لا يغلب. وليس معنى أنه عزيز لا يغلبه أحد لا يكون بأن يصدر المسائل بدون حكمة، لا.. إنه يغلب بحكمة.

obeikandl.com

ثواب الصبر على البلية

قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

إعراب الصابرين هنا مكسور بقصد من الحق، لماذا؟ إن ذلك أمر للتنبيه إلى أن الإيمان بالله كمسألة عقدية. وبالغيب، وإيتاء المال، والوفاء بالعهد، كل ذلك إنما للوصول إلى الصبر.. إن الحق يريد أن ينبه إلى مزية الصبر فكسر عنده الإعراب. إن الحق يريد أن يمدح الصابرين وأن ينبه الأذهان إلى شيء جديد، ولذلك تكسر الإعراب لأن الصبر هو مطية كل هذه الأشياء، فالذي يصبر على نفسه في إقامة الصلاة وإيتاء المال على حبه وإيتاء الزكاة وكل ما سبق وجاء بالآية من مميزات الامتزاج بالبر، كل هذا يصل إليه الإنسان بالصبر، ولذلك خصص الحق الصبر بإعراب خاص. ولذلك نقول: إن كلمة: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ في هذه الآية منصوبة على المدح أو الاختصاص، لماذا؟ لأن كل التكليفات الواردة بالآية الكريمة تعطي مشقات على النفس ولا يقدر على هذه المشقات إلا من يقدر على الصبر.

لكن ما الفرق وما معنى الصابرين في البأساء والضراء؟ إن الصبر في البأساء هو الصبر على الأحوال من بؤس أو فقر، أما الصبر في الضراء فهو الصبر على آلام البدن من مرض أو علل أو عاهات، وأما الصبر حين البأس فهو الصبر الذي يطلق على الصبر والمثابرة في القتال أثناء الإلتقاء بالعدو. إذن فنحن أمام ثلاثة ألوان من الصبر؛ صبر على حال بأس أو فقر، صبر على الابتلاء في البدن، صبر في لقاء العدو.

لذلك يقول النبي الكريم ﷺ ما معناه «إن الحق لا يبتلي عبداً ببلية فلا يشكوها لعواده، فإن قبضه قبضه إلى رحمة، وإن عافاه كانت عافيته بلا ذنب»

من حديث شريف بمعناه. ومعنى ذلك أن الإنسان إذا أصابه اللَّه بأمر من أمور الإبتلاء الذي يؤلم ولم يتذمر العبد من الشكوى إنما صبر على الإبتلاء، فإن مات فإن اللَّه يسعه برحمته، وإن عافاه اللَّه كانت عافيته بلا ذنب، لكن لا يجب أن نفهم من ذلك أن يستسلم الإنسان للأحداث أو الابتلاءات دون أن يبحث عن حلول لها عند الأطباء مثلاً، أو أن يأخذ بأسباب اللَّه لإزالة هذه النكبات، لكن علينا أن نفهم أننا يجب أن نأخذ بأسباب اللَّه دون ضجر فيما يمر علينا من أحداث.

obeikandl.com

شكر الغني وصبر الفقير

الحق سبحانه وتعالى اقتضت حكمته في خلق الكون أن يجعل كل شيء يخدم الإنسان، الجماد يخدم الإنسان وكذلك النبات وكذلك الحيوان حتى يكون الإنسان مستجيباً لمنهج اللَّه ولعبادته، ولكن الحكمة أيضاً اقتضت أن يخلق اللَّه سبحانه وتعالى أشياء لا تستجيب للإنسان حتى يعرف الناس أن هذا الكون ليس مذللاً بقدراتهم هم بل بقدرة اللَّه سبحانه وتعالى، لأن الحق يقول: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦، ٧] فنجد مثلاً الجمل بضخامته يستطيع طفل صغير أن يقوده، والثعبان الصغير على دقة حجمه لا يجرؤ أن يقترب منه الإنسان.

وفي الوقت نفسه فإن هذه الحكمة تقتضي أن يحس الإنسان أن قدراته وقوته موهوبة له من اللَّه سبحانه وتعالى، وأنها ليست من ذات الإنسان. ولذلك يخلق اللَّه أناساً ضعافاً لا يقدرون على الكسب ليلفتنا إلى أن القوة هبة من اللَّه وليست في ذاتية الإنسان، وإلا لو كانت ذاتية ما وجد عاجز.

وعندما يفهم القوي أن قوته هبة من اللَّه يمكن أن تسلب منه فيصبح ضعيفاً كمن يراه أمامه من ضعاف البشر، والضعيف غير قادر على العمل، والأعمى غير قادر على الكسب، والكسيح غير قادر على السير، كل هؤلاء موجودون في الكون ليلفتوا الأصحاء والأقوياء إلى أن الصحة والقوة من اللَّه؛ فلا يغتروا بأنفسهم ويرتكبوا المعاصي بل يخافوا، لأن اللَّه الذي أعطى يستطيع أن يأخذ. كما اقتضت حكمة اللَّه سبحانه وتعالى أن يقسم الأرزاق بيننا لتسير حركة الكون وإلا لو أننا كلنا أغنياء أو أصحاب جاه فمن ذا الذي يقوم بتنظيف الشارع؟ ومن الذي يقوم بتسليك بالوعات الصرف الصحي؟ ومن الذي يحمل الطوب والأسمنت على كتفيه للبناء؟ ما دمنا كلنا نملك المال فلن يرضى أحد أن يقوم بذلك، ولكن اللَّه ربط هذه الأعمال بالرزق بحيث نقوم بها لنحصل على قوت أولادنا، وإلا لما قام أحد بتنظيف الطريق، وما عمل أحد في إصلاح الصرف الصحي، لذلك فإن من يقومون بهذه الأعمال يكونون سعداء عندما تسد المجاري أو يحتاج الطريق إلى نظافة. ولكن أيبقى هذا الحال على ما هو عليه؟ لا.. الأيام دول بين الناس وكل واحد له عرس وله مأتم، ولذلك تأتي أيام تكون فيها هذه الأعمال اليدوية هي مصدر الرزق

الوفير، وهي التي يملك أصحابها المال والعمارات والسيارات الفاخرة إلى آخر ذلك، فيكون الذين درسوا في الجامعات وأهلوا للمناصب أقل دخلاً وأقل رزقاً. والكون محتاج إلى المواهب المتعددة تتكامل فيه؛ فأنت إذا أردت أن تبني بيتاً تحتاج إلى مهندس ومقاول ونجار وحداد وبناء إلى غير ذلك، ولا يمكن لإنسان أن يملك هذه المواهب كلها، فلا بدّ أن تتكامل وأن يرتبط هذا التكامل بالرزق ولقمة العيش. ولذلك يقال في المثل الشعبي: «باب النجار مخلع» لأن الأبواب الأخرى التي يصنعها النجار مرتبطة برزقه، وهو يحاول أن يحسن صناعتها، أما بابه فلا رزق له فيه ولذلك لا يحسن صنعه.

إذن.. على الإنسان أن يعرف أنه ليس أصيلاً في الكون بل هو مستخلف فيه. فالفساد ينشأ إذا اعتبر الإنسان نفسه أصيلاً في الكون. وإياك أن تفهم أن المعطي مفضل عن الآخذ أو أن الآخذ مفضل على المعطي بل هما متعادلان. فالإيمان نصفان؛ نصف شكر ونصف صبر، إما أنك في نعمة فتشكر، وإما أنك في محنة فتصبر، والغني صاحب النعمة أخذ نصف الشكر وحرم نصف الصبر، ولذلك أمر بأن يعطي من ماله الذي حصل عليه بعرقه وعمله لغير القادر على العمل، وبذلك يحصل على الصبر من أنه عمله لمن لا يعمل، فيكون الغني قد أخذ نصف الشكر ونصف الصبر. وكذلك الفقير أخذ نصف الشكر ونصف الصبر، لأنه فقير فصبر على فقره وجاء له المال بلا تعب فشكر الله على نعمته، وهكذا نجد أن الإثنين إذا طبقا منهج الله أخذا نصف الصبر ونصف الشكر. والعاجز عن الكسب يجب ألا يغضب، لأن الله سبحانه وتعالى أعطاه الرزق بلا تعب، وتجد الغني وهو يبحث عن مصارف الزكاة يسأل عن الفقراء ليعطيهم.

وأنت إذا كان هناك إنسان عزيز عليك في أزمة فأنت تعطيه من مالك، فإذا لم يكن لديك مال ربما اقترضت لتعطيه، والله سبحانه وتعالى قال: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ۖ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥] كيف يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ مع أن المال مال الله؟! نقول: إن الله احترم عمل الإنسان الذي يأتيه بالمال ومنه يعطي أخاه المحتاج ابتغاء مرضاة الله، واعتبر هذا العمل له جل جلاله، وكأن الذي يعطي المال للمحتاج يقرض الله، تماماً كالأب الذي يعطي مصروفاً لأولاده فيضعه كل منهم في حصالته، ثم تأتي الأب أزمة يحتاج معها إلى المال فيستأذن أولاده بأن يأخذ ما في حصالاتهم، ولكن مال الأولاد هو في الأصل من مال الأب الذي احترم أنه وهب المال لأولاده فاعتبره مالهم. كذلك الحق

سبحانه وتعالى احترم عمل الإنسان فاعتبره مالك المال وطلب منه أن يقرضه.

وفي هذا ميزة للغني والفقير: الغني له ميزة لأنه أعطى للّه، والفقير له ميزة لأن اللّه سبحانه وتعالى اقترض من أجله.

ولقد جعل اللّه الزكاة من أركان الإسلام، وجعل هذا الركن للفقير؛ فالغني ليس له ركن في إيمان الفقير، ولكن الفقير له ركن في إيمان الغني. والغني حين يعطي للفقير جزءاً من ماله يستغني عن هذا الجزء. وهناك فرق بين أن تستغني عن الشيء وتستغني بالشيء والحق سبحانه وتعالى مستغن عن الكون وما فيه، فكأنه أعطى الغني صفة من صفات الحق، لأن اللّه مستغن عن مال الدنيا كله، والمال ليس سلعة مفيدة فائدة مباشرة للإنسان، ولنفرض أن رجلاً عنده جبل من ذهب جالس في صحراء لا يوجد فيها كسرة خبز أو شربة ماء، فما هي فائدة جبل الذهب هذا؟ لا يساوي شيئاً. إذن فالمال ليس غاية ولكنه وسيلة. وعندما يمنع الغني ماله عن الفقير يكون قد جعل المال غاية فلا ينفعه، تماماً كمالك جبل الذهب لا يجد لقمة خبز، ولكنه إذا أعطى المال للفقير جعل المال وسيلة، وهذا هي وظيفة المال في الحياة. وأنت تشتري بالمال ما تعتقد أنه ينفعك، فوظفه في أكمل ما ينفعك وهو رضا اللّه سبحانه وتعالى وثوابه. الحق جل جلاله احترم حركة الحياة في العمل حتى يعمل كل إنسان على قدر طاقته وليس على قدر حاجته. لو عمل كل إنسان على قدر حاجته فقط ما وجد فائض مال للزكاة، ولذلك سمي الحق سبحانه وتعالى المال الذي يكسبه في الدنيا مال الإنسان حتى يعمل كل منا على قدر طاقته، لأن المال ماله. وعندما يزيد ما عندك من مال على حاجتك فإنك لا تحب أن يفارقك المال الزائد، وفي الوقت نفسه تحرص على أن تنفقه فيما ينفعك بأن تعمل لآخرتك. ولذلك كان الإمام عليّ رضي اللّه تعالى عنه وكرم اللّه وجهه إذا سأله سائل قال: «أهلاً بمن يحمل زادي إلى الآخرة بغير أجرة».

إذن.. فأنت تحتاج المال الزائد لتتصدق به لتحسن آخرتك، والفقير محتاج إلى المال الزائد على حاجتك ليعيش، فكلاكما محتاج للآخر، ولكن اللّه سبحانه وتعالى احترم عمل الإنسان فجعل له النصيب الأكبر مما يكسب، وللفقير نصيب أقل. فإذا عثر الإنسان على كنز مثلاً فزكاته عشرون في المائة، وإذا زرع الإنسان وروى وحصد فزكاته هي عشرة في المائة، فإذا كان رزقه من عمل يومي كالتجارة مثلاً كانت الزكاة اثنين ونصفاً في المائة؛ ذلك أنه كلما كثرت حركة الإنسان في عمله قلت الزكاة، وكلما قل عمل الإنسان فيما يكسب زادت الزكاة؛ وذلك لأن الحق سبحانه وتعالى يريد أن يشجع العامل على العمل لأن المجتمع هو المستفيد

بالعمل وإن لم يقصد ذلك صاحبه، فالذي يبني عمارة مثلاً إنما يفتح باب العمل لمن يحضر التراب ولمن يضع الطوب والإسمنت والحديد، ومن ينقل هذه الأشياء، ومن يبني، ومن يقوم بصناعة وتركيب الأدوات الصحية والكهرباء والطلاء والديكور وغير ذلك.

إذن.. فالمجتمع كله استفاد من بناء العمارة حتى ولو لم يكن في بال صاحبها أن يفيد المجتمع. وبعض الناس يعتقد أن العمل وحده هو الذي يأتي بالمال وينسون اللَّه الذي يَسَّرَهُ لهم ومَكَّنَهُم منه ولذلك تأتي آفات مثلاً تتلف الزرع وتضيع من قاموا بالحرث والبذر والسقي، هذا ليلفتنا إلى أن كل شيء يتم بإرادة اللَّه وليس بالأسباب وحدها ولكن اللَّه سبحانه وتعالى حين يقضي بذلك يأتي فيبارك في زرع في بلد آخر أو مكان آخر، فإذا هلك محصول القمح في دولة كانت هناك دولة أخرى زاد فيها محصول القمح، فيشتري هؤلاء من هؤلاء أو ترسل الدول التي جاءها محصول وفير القمح إلى الدول التي هلك فيها الزرع كمعونة أو إغاثة فتتعادل سبل الحياة.

ولا بدّ أن نتذكر دائماً أن اللَّه سبحانه وتعالى هو الذي أعطانا القدرة، وأنه لا أحد يستطيع أن يعطي القدرة للإنسان غير اللَّه تبارك وتعالى، فالإنسان يستطيع بقدرته أن يعين إنساناً آخر كأن يكون هناك حمل ثقيل لا أستطيع أن أحمله فيأتي رجل قوي فيحمله لي، وليس معنى أن الشيء قد حُمل إلي أنه قد تغيرت صفتي من العجز إلى القوة، ولكني ما زلت عاجزاً عن أن أحمل هذا الشيء ولكن اللَّه سبحانه وتعالى وحده يستطيع أن يحول صفتي إلى قوة بحيث أصبح قوياً قادراً على حمل الشيء الثقيل؛ وفرق بين أن تتبرع أنت بأثر قوتك وبين أن تهب الغير هذه القوة؛ البشر يعطي أثر قوته، ولكن الحق سبحانه وتعالى يهب القوة لمن يشاء. والمال لا ينفع بذاته وإنما هو يحضر لك النافع، فإذا احتجت إلى طعام أو شراب أو ملابس أو سيارة أو غير ذلك اشتريتها بالمال.

إذن.. فالمال هو الأصل في الحصول على احتياجات البشر، ولذلك يعتز به الإنسان حتى أنك ترى الأولاد إذا كانوا يأخذون المصروف كل شهر تجدهم يحرصون على لقاء الأب في أول كل شهر، وقد لا يلتفتون إليه في باقي الأيام، وإذا كان المصروف في كل يوم حرص الأولاد على لقاء أبيهم في كل يوم، فما بالك بمن وهبك الحياة ذاتها؟!

لماذا التواصي بالحق والصبر؟

قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣] إن المتأمل لهذه السورة يرينا الوضع الإنساني خلال الإيمان والوضع الإنساني بدون إيمان. إن المقصود بكلمة ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ هو تعريف من الله تعالى بأنه في كل حقبة زمنية يعيش دائماً بشر في حركة للحياة، مثال ذلك عندما تقول: «العصر الحجري». نحن نعني بذلك أن هناك بشراً كانوا يعيشون في تلك الحقبة الزمنية، ومثال ذلك أيضاً عندما نقول: «العصر الجاهلي» أو «العصر الأموي» أو «العصر العباسي» أو «العصر الحديث». إننا عندما نطلق كلمة «العصر» على حقبة زمنية إنما نعني أن هناك صفات ومميزات بتلك الحقبة الزمنية، وبالتالي لسلوك الإنسان في أي عصر. نجد الإنسان غير المؤمن بفكرة أو عقيدة هو إنسان ضال يسير دائماً في طريق الإحساس بالخسران وفقدان الأمان؛ أما الإنسان المؤمن في أي عصر من العصور فوضعه مختلف. الإيمان عقيدة واضحة المعالم والسلوك يصدر منه السلوك الإنساني، لذلك لا إيمان بلا سلوك ولا عقيدة بدون فعل. الإيمان لا بدّ له من سلوك والعقيدة لا بدّ لها من حركة تعبر عنها، ويتضح ذلك من قول الحق سبحانه: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ إن الإيمان بدون عمل لا يصبح إيماناً، بل الإيمان لا بدّ له من عمل صالح يعبر عنه. والعمل الصالح دائماً يدخل في معركة مع الباطل، وضمان انتصار العمل الصالح هو أن يتواصى المؤمنون فيما بينهم بالحق ويتواصى المؤمنون فيما بينهم بالصبر.

لماذا كان الأمر الإلهي بالتواصي بالحق والصبر؟ إن الله يعلم أن النفس البشرية قد تضعف أمام التكاليف الإيمانية، ويختلف ألوان الضعف من إنسان لآخر، فواحد يكون ضعفه هو الكسب الحرام رغم أنه في بقية سلوكه يلتزم بالإسلام، وواحد آخر يكون ضعفه «المرأة» كثير العشق ضعيف النفس رغم أنه في بقية سلوكه ملتزم بالإسلام، وثالث يكون ضعفه احتساء الخمر رغم أنه في بقية سلوكه ملتزم بالإسلام، وتطبيقاً عملياً في المثال الذي ضربناه لهؤلاء المسلمين

الثلاثة كل واحد منهم به نقطة ضعف، هنا يتدخل التواصي بينهم في تكافل ديني إيماني يحقق آثاره الحميدة، بمعنى أن صاحب الخمر إذا قال لصاحب الكسب الحرام كلمة هي أن سلوكك كله سلوك مؤمن، فلماذا لا تكف عن الكسب الحرام؟ في هذا القول تشجيع وتواص لأن يستكمل صاحب الكسب الحرام دينه بالابتعاد عن الكسب الحرام. وقد يقول صاحب الكسب الحرام لصاحب الخمر: إن عليك أن تستكمل إيمانك بأن تترك معصية شرب الخمر ليكتمل لك رشدك. وبهذا التواصي قد يبتعد المسلم الذي وقع في نقطة ضعف الخمر عن احتساء ما يغضب اللّه، وإذا قال الإثنان لمن نقطة ضعفه النساء: لقد اكتمل لك كل ما في الإسلام من عقيدة وسلوك، فلماذا تفسد إيمانك بأن تنظر إلى غير ما أحله اللّه لك؟ هنا قد يبتعد ضعيف القلب أمام النساء عن عصيان الرحمن في تلك النقطة. هكذا يكون التواصي تربية من خلال الصدق المهذب والصداقة التي تقدر لأهلها تربية النفس لكل منهما.

اللّه يعلم ألوان الضعف الإنساني في عباده أمام التكاليف الإيمانية، إنه الخالق العليم عليم بباطن أي أمر وظاهره، لذلك فهو يعلم أن أي إنسان مسلم غير معصوم من الزلل أو النقص أو الخطأ، فكيف يقاوم المسلم زلته وضعفه الإنساني؟ إن مقاومة هذا الضعف الإنساني تأتي من التواصي بالحق والتواصي بالصبر بين الإخوة المؤمنين. ما معنى «التواصي»؟ إنه ليس أبداً فرض وصاية من إنسان على آخر ولكن أن يحاول كل إنسان مؤمن تذكير أخيه المسلم بالحق الإيماني والتكليف الرحماني، وأن نشترك معاً وجميعاً في التواصي حتى لا يصيبنا الضعف في أي مسألة إيمانية.

إن التواصي في جوهره ليس تفرد واحد بالوصاية على الآخرين، ولكن أن يتواصى كل مسلم وكل مجتمع إيماني حتى لا يقع الإنسان المؤمن في ضعف إنساني.

إن اللّه يريد من كل مسلم أن يتواصى مع أخيه حتى نكون جميعاً جنوداً في الإسلام لا نضعف ولا تهن عزائمنا. إن اللّه يريد من أهل الإيمان أن يكون عمل كل منهم صالحاً، وعندما تجتمع الأعمال الصالحة في تناسق وانسجام وترابط حينئذٍ لا يستطيع أهل الباطل أن يهزموا أهل الإيمان؛ لأن كل مؤمن يقوي نفسه بتوصية أخيه له، وكل مسلم مستند على سند من تواصي المؤمنين

بعضهم ببعض. ولم يكتف اللّه سبحانه وتعالى بأنه يأمر أهل الإيمان بالتواصي بالحق فقط، ولكن أرشدهم إلى التواصي بالصبر أيضاً. لماذا؟ لأن اللّه يعلم أن المؤمنين به يتعرضون دائماً لعدوان أهل الباطل، فإذا تواصى المؤمنون بالصبر على أي مكروه ففي هذا الصبر عزيمة وقوة وتأكيد لحقيقة الإيمان باللّه حتى يزهق الباطل وينتصر الحق.

obeikandl.com

الصبر على الابتلاء

يقول الحق: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥] فنحن نرى أن الاختبار والابتلاء في هذه الأمور إنما مراده أن يعدّنا الخالق لمواجهة أي صعاب تقابلنا في الحياة. إن الحق يأتي بكل هذه الابتلاءات وذلك حتى يمر المؤمن للإعداد اللائق بمهمته في الحياة وأن ينجح في مواجهة كل ابتلاء. لماذا؟ حتى يخرج المؤمن صلباً ويواجه الحياة قوياً، وإذا ما تعرض المؤمنون إلى هذه الاختبارات فهذا إعداد من الحق للمؤمنين أن يصبروا. والصبر هو إعداد للنفس أن تواجه أي عقبة، وبكل تلك الاختبارات يتم إعداد المؤمنين ليواجهوا أي أمر ويكون سندهم دائماً هو اللّه. لقد شرع اللّه الصوم مثلاً ليصبر المؤمن على الجوع، فإن اضطر المؤمن إلى الدخول في معركة طويلة تستغرق ساعات من النهار والليل فإنه يكون بالتدريب المسبق على الصوم قادراً على مواجهة العدو.

إن التدريب على مواجهة الاختبارات نوع من الإعداد الذي يريده الحق للمؤمنين. والحق سبحانه وتعالى يريد أن يُعدّ المؤمن إعداداً كافياً كاملاً، فالخوف يعلم المؤمن حسن الاستعداد، والجوع يعلم المؤمن أن يأخذ من الطعام على قدر الضرورة، ونقص الأموال يعلم المؤمن كيف يشارك بالمال في دفع أي خطر يواجه الأمة المسلمة، ونقص الأنفس يعلم المؤمن أن حياته باقية خالدة إذا نال الاستشهاد في سبيل اللّه؛ فيشتاق الإنسان إلى بذل الحياة في سبيل النصر وهكذا لا ينشغل المؤمن بترف الحياة عن مطلوبات الإيمان.

وإذا ما نجح المؤمنون في هذه الاختبارات فإن اللّه يجازيهم بالبشرى والنصر. ذلك أن المؤمنين قد صبروا على كل هذه المقتضيات؛ صبر المؤمنون على الخوف، وصبر المؤمنون على الجوع، وصبر المؤمنون على نقص الأموال والأنفس، وصبر المؤمنون على نقص الثمرات، لذلك تكون للمؤمنين البشرى عند اللّه.. لماذا؟ لأن المؤمن إذا ما مرّ بكل هذه الابتلاءات وصبر عليها وأصبح قادراً على مواجهة كل المصاعب فذلك دليل على أنه يعلم أن الحياة إنما هي معبر

لا يشغل المؤمن عن الغاية، والغاية هي تحقيق مطلوب الله منه بالإيمان، وبعد ذلك يقول الحق: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] والمصيبة هي الأمر الذي ينال الإنسان منه مشقة وألم، وهي مأخوذة من إصابة الهدف، وليس معنى ذلك أن الألم هدف، ولكن معنى ذلك أن المؤمن يستقبل المصيبة بنوعين من الاستقبال: **الأول**: أن المؤمن يعرف أن المصيبة مؤلمة له، ويؤمن أنه على قدر إيلامها يكون ثوابها، ولذلك لما فرح الكفار بما يصيب المسلمين في بعض المعارك أنزل الله قوله الحكيم الذي ينبه فيه المؤمنين إلى عدم الالتفات إلى قول هؤلاء الحمقى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١] إن المصيبة عندما تنزل بمؤمن فهي لحسابه لتزيد من رصيده عند ربه ويأخذ عنها جزاءً، فإن كانت المصيبة بسبب غفلة من المؤمن فليس له أن يجزع، ولكن يلفته بها الله إلى مهامه في الحياة. **والاستقبال الثاني هو**: إن كانت المصيبة من غيره وبسبب خارج عن إرادته فهي تغفر وتجبر ذنباً، وفي ذلك عدل من الله؛ لأن الخالق لا يظلم أحداً وكل منا مملوك لله وما يجريه علينا في ملكه ولا أحد يستطيع أن يتأبى على أي مصيبة أو أي حدث.

والحق عندما ينسب هذا الأمر إليه إنما ليعدنا بجزاء وافر الخير. والحق لا يفسد في ملكه وكلنا ملك لله، والمالك لا يعرض ملكه للعطب إنما يعرضه للإصلاح، لذلك يقول الحق: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ومن ذلك نرى لفتة من الخالق للمخلوق المؤمن بأن يرجع أخيراً إلى الله فإن كان فيما أجراه على العبد المؤمن من ابتلاء لا دخل للمؤمن به فلسوف يأخذ ثوابه عند الرجوع إلى الله، إن الحق يملك قوى الابتداء في حياة الإنسان على الأرض ويملك قوى النهاية، والحق يعطي الخلق الجزاء بالخير، ولذلك علمنا رسول الله ﷺ أن نواجه أي مصيبة بأن نسترجع. ومعنى أن يسترجع الإنسان أن يقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ وعلمنا رسول الله ﷺ أن نقول: اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها»[1] فإذا قالها المؤمن عند أي مصيبة تصيبه فلا بد أن يجد فيما بعد ذلك خيراً كثيراً، وإن نسي المؤمن أن يقولها وقت الابتلاء بالمصيبة فليقلها وليتذكرها ليكون له جزاؤها وكأنه قالها لحظة حدوث المصيبة.

ونحن نعرف حكاية أم سلمة حين مات أبو سلمة، وكان أبو سلمة ملء

---

(١) رواه مسلم [٣/٩١٨، ٤] عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها.

السمع والبصر، وجزعت عليه زوجته فقيل لها: قولي ما علمنا رسول اللّه عليه الصلاة والسلام. قالت: ماذا أقول؟ قالوا لها: قولي: «إنا للّه وإنا إليه راجعون، اللّهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها». قالت: وهل هناك خير من أبي سلمة؟ فقالوا لها: قولي ما قاله رسول اللّه، وقالت أم سلمة هذا الدعاء وبعد أن مضت عدتها من أبي سلمة ذهب النبي الكريم إليها وتزوجها[١].

هنا قيل لها: أوجد اللّه خيراً من أبي سلمة أم لم يوجد؟ قالت أم سلمة: ما كنت لأتسامى إلى هذا الموقف.

إذن.. فكل مصيبة تصيب الإنسان عليه أن يقابلها بهذا الدعاء الذي علمنا إياه رسول اللّه: «إنا للّه وإنا إليه راجعون، اللّهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها» دعاء لرسول اللّه.

(١) رواه مسلم [٥/٩١٨] عن أم سلمة رضي اللّه عنها أنها قالت لما توفي أبو سلمة رضي اللّه تعالى عنه: «من خير من أبي سلمة صاحب رسول اللّه ﷺ؟ ثم عزم اللّه لي فقلتها. قالت: فتزوجت رسول اللّه ﷺ».

openkandl.com

الصبر على أذى الكافرين

قال اللّه سبحانه وتعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠] والقرآن لأنه كلام اللّه فله من الأساليب الغنى الكامل، والعبارات في المعنى الواحد قد تختلف حسب كل مقام، وإن كان المعنى يكاد يكون واحداً، إلا أن الحق قادر على أن يحدد بدقة متناهية اللفظ المناسب. إنه هو سبحانه وتعالى الذي قال: ﴿۞ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٢٣].

وهو سبحانه الذي قال: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩].

إنه جل وعلا يتكلم عن المس في الشر والخير، ومرة يتكلم عما يحدث للإنسان كإصابة في الخير وفي الشر. لقد خالف هنا في الموقع وفي الأسلوب، فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ إنه لم يورد الأمر كله «مس» ولم يورده كله «إصابة»؛ إنه كلام رب. وعندما نتمعن في المعنى فإن الواحد منا يقول: هذا كلام لا يقوله إلا رب. ولنتعرف على «المس» و«الإصابة». بعض العلماء قال: إن المس والإصابة بمعنى واحد، بدليل قوله الحق سبحانه وتعالى: ﴿۞ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ ولكننا نقول: إن المس إيجاد صلة بين الماس والممسوس، فإن مس الرجل امرأته، فلماذا نأمره بالوضوء فقط؟ إنه مجرد التقاء الماس بالممسوس، لأن الأمر ليس أكثر من التقاء لا تحدث به الجنابة فلا حاجة للغسل، وأما الإصابة فهو التقاء وزيادة، فالذي يضرب واحداً صفعة، فإنه قد يورم صدغه. إن الكف التقى بالخد وأصاب الصدغ. إن هناك فرقاً بين المس والإصابة. وحين يقول الحق: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ أي الحسنة بسيطة وليست كبيرة كالرخاء أو الغنيمة أو قليل من الخير، وفي حياتنا نحن نجد من يمتلئ غيظاً لأن خصمه قد كسب عشرة قروش وقد يجد من يقول له: لماذا لا تدخر غيظك أي أن تكسب مائة جنيه مثلاً!! ومثل هذا الغيظ من الحسنة الصغيرة هو دليل على أن أي خير يأتي للمؤمنين إنما

يسبب التعب للكافرين. إن مجرد مس الخير للمؤمنين يتعب الكافرين، لكن ماذا في أمر السيئة؟ ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ لأن المصائب حتى تنزل على الناس قد تصير الحاسد راحماً، فقد يكره واحد إنساناً آخر، وقد يلتفت هذا الواحد أن من يكرهه قد يقع وتنكسر له ساق فنجد أن الإنسان الذي كان كارهاً قد رقّ قلبه لكن الكافرين في مثل هذا الوقت لا يفعلون ذلك ولا يحسون بمشاعر الرحمة. ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ رغم أن مقتضى الإنسانية أن ينقلبوا راحمين. والشاعر يقول:

وحَسْبُكَ مِنْ حَادِثٍ بامْرِئٍ تَرَى حَاسِدِيه لَهُ رَاحِمِينا

إن الشاعر يصور كلما كان الحادث بشعاً تجد أن من كان يحسد هذا الإنسان ينقلب إلى راحم له.

إذن.. فعندما تشتد الإصابة فهي لا تغير في الكافرين، ولكنهم يفرحون بالإصابة الشديدة للمؤمنين. فإذا جاء خير أي خير للمؤمنين مهما قل فإنه يحزن الكافرين، وإن جاء الشر ولو كبر كان مصيبة يرق لها قلب الحاسدين، فإن الكافرين يفرحون بها.

وذلك قول الله تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ فمهما كاد لك الكافرون أيها المؤمن فأنت أمام أسلوبين لمواجهة ذلك: **الأسلوب الأول**: اصبر على عداوتهم وشرهم وشماتتهم وفرحهم في المصائب، اصبر على حزنهم من النعمة التي تصيبك أو تمسك هذه هي المناعة الأولى التي توفر لك ألا يؤثر كيد الكافرين فيك.

والأسلوب الثاني: أن تتقي بمنهج الله، وبهذين الأسلوبين تضمن أن يكون الله في جانبك ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ ولنا أن نسأل: ما الكيد؟ الكيد هو أن يبيت إنسان ويحتال على إيقاع الضرر بالغير بحيث يبدو أنه من غيره. ومعنى المكر هو أن يبيت إنسان ويحتال على إحداث الشر بحيث يبدو أنه من غيره. والكيد والكبد لهما معنى واحد، والكبد كما نعرف هو البضع القوي في الإنسان، إذا أصابه شيء اختلت حياة الإنسان. والمثل العربي يقول عن الإنسان الذي يملك بفراسته الوصول إلى الصدق: «لقد أصاب كبد الحقيقة» وبهذا نفهم أن الكافرين عندما يريدون الكيد فهم يبيتون المؤامرات، والتبييت ليس دليل الشجاعة إنما دليل الجبن والضعف، فعندما ترى من يبيت فهو

جبان، لأن الشجاع لا يكيد ولا يمكر، ولذلك يقول الشاعر:

وضعيفة فإذا أصابت فرصة قتلت كذلك قدرة الضعفاء

لماذا..؟ لأن فرص امتلاك الضعيف للقدرة ليست فرصاً كثيرة، أما فرص القوي فهي كثيرة؛ ولذلك فأسلوب القوي في المواجهة هو الوضوح، ولذلك نجد أن قوماً دخلوا في جدل فقالوا: إن المرأة أخطر من الشيطان، لأن الحق قد قال: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

وقال الحق عن النساء: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨] وكلما كان الكيد عظيماً دل على الضعف، وكيد الشيطان مهما بلغ، ما سر ضعفه؟ لأنه لا يملك أي سلطان لإرغام الإنسان، ولا أي سلطان لإقناعه. إنما هو يزين الخطأ فقط، ومن هنا دلّت الآية على ضعف النساء ومن ثم كان كيدهن عظيماً.

والحق حين يقول: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠] فإن ذلك يعني إن تصبروا أيها المؤمنون على مقتضيات عداوات الكافرين وتتقوا الله لا يضركم كيد الكافرين شيئاً لأن الله يكون معكم.. لماذا؟ وتكون إجابة الحق: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ وساعة ترى كلمة محيط فاعلم أنه عليم بكل شيء، والإحاطة تعني ألا يفلت منه شيء أو يشرد عنه شيء.

الاستعانة بالصبر والصلاة

قال اللَّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[(١)] [البقرة: ١٥٣].

---

(١) إن اللَّه عزّ وجلّ يرشدنا لكيفية التعامل مع مشاكل الحياة ونوائبها فيقول جل ثناؤه بخصوص التجهيز للحرب: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] ويقول عزّ وجلّ لنبيه موسى عليه السلام: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ في مواجهة بعض الأمور التي تحتاج لعون من الآخرين. ويقول عزّ وجلّ للمسلمين قاطبة ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]. وهكذا في أمور كثيرة إلا أن القاعدة الأساسية لمواجهة كل هذه الأمور وغيرها هي: «الاستعانة بالصبر والصلاة» والتي يبنى عليها بقية الأسباب؛ والتي نستمد منها توفيق اللَّه لنا للسبب المؤدي إلى جنته وتنزل السكينة علينا بإذن اللَّه.. ولذلك كان رسول اللَّه ﷺ إذا واجهته مشكلة أو أهمه أمر قام فصلّى مستعيناً بها، وبالصبر كما أمر اللَّه عزّ وجلّ وأرشده.

وفي الحديث عن حذيفة رضي اللَّه عنه قال: «كان رسول اللَّه ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة»[(١)].

وعن صهيب الرومي رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ: «.. كانوا ـ يعني الأنبياء ـ يفزعون إذا فزعوا إلى الصلاة..»[(٢)].

وعن ابن عباس رضي اللَّه عنه: نعي إليه أخوه قُثَم وهو في مسير فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس، ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

وروى الطبري بسنده عن أبي العالية في قوله: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ يقول: استعينوا بالصبر والصلاة على مرضاة اللَّه، واعلموا أنهما من طاعة اللَّه[(٣)]. =

---

(١) رواه أبو داود [١٣١٩]، وأحمد في المسند [٥/ ٣٨٨]، وحَسَّنَه الألباني في صحيح أبي داود [١١٧١].

(٢) رواه أحمد في المسند [٤/ ٣٣٣] بسند صحيح.

(٣) رواه سعيد بن منصور في سننه [٢/ ٦٣٢] بسند صحيح، وابن جرير الطبري في تفسيره [٢/ ١٤ رقم ٨٥٢].

اللَّه تبارك وتعالى يخاطب من آمن به ليتلقى عنه التكليف، فالتكليف إنما

= **وعن الربيع قوله:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾، اعلموا أنهما عونٌ على طاعة اللَّه.

وأما قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، **فإن تأويله:** فإن اللَّه ناصرهُ وظَهيرهُ وراضٍ بفعله، كقول القائل: «افعل يَا فلان كذا وأنا معك»، يعني: إني ناصرُك على فعلك ذلك ومُعينك عليه.

وقال الطبري: وهذه الآية حضٌّ من اللَّه تعالى ذكره على طاعته، واحتمال مكروهها على الأبدان والأموال، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ على القيام بطاعتي، وأداء فرائضي في ناسخ أحكامي، والانصراف عما أنسخه منها إلى الذي أحدِثه لكم من فرائضي، وأنقلكم إليه من أحكامي، والتسليم لأمري فيما آمركم به في حين إلزامكم حكمه، والتحول عنه بعد تحويلي إياكم عنه ـ وإن لحقكم في ذلك مكروهٌ من مقالة أعدائكم من الكفار بقذفهم لكم الباطل، أو مشقةٌ على أبدانكم في قيامكم به، أو نقصٌ في أموالكم ـ وعلى جهاد أعدائكم وحربهم في سبيلي، بالصبر منكم لي على مكروه ذلك ومَشقته عليكم، واحتمال عنائه وثقله، ثم بالفزع منكم فيما يَنوبكم من مفظعات الأمور إلى الصلاة لي. فإنكم بالصبر على المكاره تُدركون مرضاتي، وبالصلاة لي تستنجحون طلباتكم قِبَلي، ومدركون حاجاتكم عندي، فإني مع الصابرين على القيام بأداء فرائضي وترك معاصيَّ، أنصرُهم وأرعاهم وأكلأُهم؛ حتى يظفروا بما طلبوا وأمَّلوا قِبَلي.

تفسير الطبري [٣/ ٢١٣، ٢١٤]

وقال القاسمي في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ أرشد تعالى المؤمنين، إثر الأمر بالشكر في الآية قبل، بالإستعانة بالصبر والصلاة. لأن العبد إما أن يكون في نعمة فيشكر عليها. أو في نقمة فيصبر عليها. كما جاء في الحديث[(١)]: «عجباً للمؤمن لا يقضى له قضاء إلا كان خيراً له. إن أصابته سراء فشكر كان خيراً له. وإن أصابته ضراء فصبر كان خيراً له». وبَين تعالى أن أجود ما يستعان به على تحمل المصائب في سبيل اللَّه، الصبر والصلاة. كما تقدم في قوله: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾.

وفي الحديث[(٢)]: أن رسول اللَّه ﷺ كان إذا حَزَبَهُ أمر صلّى. =

(١) رواه مسلم [٢٩٩٩/ ٦٤] عن صهيب رضي اللَّه تعالى عنه بلفظ: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن. إن أصابته سرّاء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاء صبر، فكان خيراً له».

وروى أحمد في المسند [٥/ ٢٤] عن أنس بن مالك رضي اللَّه تعالى عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «عجباً للمؤمن، لا يقضي اللَّه له شيئاً إلا كان خيراً له».

(٢) تقدم، رواه أحمد في المسند [٥/ ٣٣٨]، وأبو داود [١٣١٩]، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود [٧١٧١] عن حذيفة بن اليمان رضي اللَّه تعالى عنه.

يأتي بعد الإيمان، إن اللَّه يكلف فقط من آمن به، لذلك فالحق لا يقول: يا أيها

= ثم إن الصبر صبران: صبر على ترك المحارم والمآثم، وصبر على فعل الطاعات والقربان، والثاني أكثر ثواباً. لأنه المقصود. وأما الصبر الثالث، وهو الصبر على المصائب والنوائب، فذاك أيضاً واجب. كالاستغفار من المعائب.

وقال الإمام ابن تيمية في كتابه «السياسة الشرعية»: وأعظم عون لوليّ الأمر خاصةً، ولغيره عامة ثلاثة أمور:

أحدها: الإخلاص للَّه، والتوكل عليه بالدعاء وغيره. وأصل ذلك المحافظة على الصلاة بالقلب والبدن.

والثاني: الإحسان إلى الخلق بالنفع والمال الذي هو الزكاة.

والثالث: الصبر على الأذى من الخلق وغيره من النوائب. ولهذا يجمع اللَّه بين الصلاة والصبر كثيراً كقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾.

وكقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ۝ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [هود: ١٤، ١١٥].

وقوله: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه: ١٣٠].

وأما قِرانُهُ بين الصلاة والزكاة في القرآن فكثير جدًا.

فبالقيام بالصلاة والزكاة والصبر يصلح حال الراعي والرعية. إذا عرف الإنسان ما يدخل في هذه الأسماء الجامعة، يدخل في الصلاة من ذكر اللَّه تعالى ودعائه وتلاوة كتابه وإخلاص الدين له والتوكل عليه، وفي الزكاة الإحسان إلى الخلق بالمال والنفع: من نصر المظلوم وإعانة الملهوف وقضاء حاجة المحتاج. وفي الصبر احتمال الأذى وكظم الغيظ والعفو عن الناس ومخالفة الهوى وترك الشر والبطر.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ قال الإمام ابن تيمية «في شرح حديث النزول»: لفظ المعية في كتاب اللَّه جاء عامًا كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

وفي قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾، إلى قوله: ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧]. وجاء خاصًا كما في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

وقوله: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

وقوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]. فلو كان المراد بذاته مع كل شيء، لكان التعميم يناقض التخصيص. فإنه قد علم أن قوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ أراد به تخصيص نفسه وأبا بكر دون عدوّهم من الكفار، وكذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ خصهم بذلك دون الظالمين والفجار. وأيضاً، فلفظ المعية ليست في لغة العرب ولا في شيء من القرآن أن يراد بها اختلاط إحدى الذاتين بالأخرى. =

الناس افعلوا كذا. إن الحق يدعو الناس إلى الإيمان به أولاً، ثم يخاطب المؤمنين

= كما في قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٦]، وقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وقوله: ﴿وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٥]. ومثل هذا كثير. فامتنع أن يكون قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ يدل على أن تكون ذاته مختلطة بذوات الخلق. وقد بسط الكلام عليه في موضع آخر وبيّن أن لفظ المعية في اللغة، وإن اقتضى المجامعة والمصاحبة والمقارنة، فهو إذا كان مع العباد، لم يناف ذلك علوّه على عرشه. ويكون حكم معيته في كل موطن بحسبه. فمع الخلق كلهم بالعلم والقدرة والسلطان. ويخص بعضهم بالإعانة والنصرة والتأييد.

محاسن التأويل [٢/٣١٦ ـ ٣١٩]

وقال العلامة السعدي رحمة الله تعالى عليه: أمر الله تعالى المؤمنين بالاستعانة على أمورهم الدنيوية ﴿بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾. فالصبر هو حبس النفس وكفها عما تكره، فهو ثلاثة أقسام:

الأول: صبرها على طاعة الله، حتى تؤديها.

الثاني: عن معصية الله حتى تتركها.

الثالث: على أقدار الله المؤلمة فلا تتسخطها.

فالصبر هو المعونة العظيمة على كل أمر، فلا سبيل لغير الصابر، أن يدرك مطلوبه وخصوصاً الطاعات الشاقة المستمرة، فإنها مفتقرة أشد الافتقار إلى تحمل الصبر، وتجرع المرارة الشاقة. فإذا لازم صاحبها الصبر، فاز بالنجاح، وإن ردّه المكروه والمشقة عن الصبر والملازمة عليها، لم يدرك شيئاً، وحصل على الحرمان، وكذلك المعصية التي تشتد دواعي النفس ونوازعها إليها وهي في محل قدرة العبد، فهذه لا يمكن تركها إلا بصبر عظيم، وكف لدواعي قلبه ونوازعها، لله تعالى، واستعانة بالله على العصمة منها، فإنها من الفتن الكبار.

وكذلك البلاء الشاق، خصوصاً إن استمر، فهذا تضعف معه القوى النفسية والجسدية، ويوجد مقتضاها، وهو التسخط، إن لم يقاومها صاحبها بالصبر لله، والتوكل عليه، واللجوء إليه، والافتقار على الدوام.

فعلمت أن الصبر محتاج إليه العبد، بل مضطر إليه في كل حالة من أحواله، فلهذا أمر الله تعالى به، وأخبر أنه: ﴿مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ أي: مع من كان الصبر لهم خلقاً وصفة، وملكة ـ بمعونته وتوفيقه وتسديده ـ فهانت عليهم بذلك المشاق والمكاره، وسهل عليهم كل عظيم، وزالت عنهم كل صعوبة، وهذه معية خاصة تقتضي محبته ومعونته، ونصره وقربه، وهذه منقبة عظيمة للصابرين. فلو لم يكن للصابرين فضيلة إلا أنهم فازوا بهذه المعية من الله، لكفى بها فضلاً وشرفاً، وأما المعية العامة فهي معية العلم=

بأن يطلب منهم أن يعملوا على مقتضى الإيمان، وعندما يأمر الحق جل وعلا بالاستعانة بالصلاة بجانب الصبر، فإننا نعلم أن الصلاة هي الركن الإسلامي الذي يعلن به المسلم الولاء الدائم لخالقه عزَّ وجلَّ:

وقلنا: إن الإنسان المخلوق للّه عندما يقف كل يوم خمس مرات بين يدي اللّه، فإنما يصلح من ذاته ويتطهر من ذنوبه(١).

إن الإنسان صنعة اللّه، وعندما يذهب الإنسان إلى لقاء خالقه جل وعلا؛ فإنه يصلح ما يصيبه من عطب؛ وقد لا يدري الإنسان هذا اللون من العطب. وهكذا يُعد الخالق سبحانه خَلْقَهُ لمواجهة كل ألوان المتاعب في الحياة بقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾؛ إن الحق يدعو المؤمنين إلى الحضور الدائم في معيته، معية النصر والتأييد والمدد. إن أحداث الحياة والمصائب فيها لا يمكن أن تتسلط على النفس إلا إذا انعزلت النفس عن مصدر قوتها، وفي هذا الموضع يأتي أمر الحق بالتكليف الواضح؛ بالصبر على إيذاء اليهود وأهل الكتاب والمشركين لمشاعر المسلمين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾(٢).

= والقدرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ﴾ وهذه عامة للخلق.
وأمر تعالى بالاستعانة بالصلاة لأن الصلاة هي عماد الدين، ونور المؤمنين، وهي الصلة بين العبد وبين ربه، فإذا كانت صلاة العبد صلاة كاملة، مجتمعاً فيها ما يلزم فيها، وما يسن، وحصل فيها حضور القلب الذي هو لبها، فصار العبد إذا دخل فيها استشعر دخوله على ربه، ووقوفه بين يديه، موقف العبد الخادم المتأدب، مستحضراً لكل ما يقوله وما يفعله، مستغرقاً بمناجاة ربه ودعائه لا جرم أن هذه الصلاة، من أكبر المعونة على جميع الأمور، فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر. ولأن هذا الحضور الذي يكون في الصلاة، يوجب للعبد في قلبه وصفاً، وداعياً يدعوه إلى امتثال أوامر ربه واجتناب نواهيه، هذه هي الصلاة التي أمر اللّه أن يستعين بها على كل شيء.
تيسير الكريم الرحمن [١/١٠٩ ـ ١١١]

(١) عن أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟» قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو اللّه بهن الخطايا».
رواه البخاري [٥٢٨]، ومسلم [٦٦٧] واللفظ له.

(٢) قال الإمام ابن القيم: قال الإمام أحمد رحمه اللّه تعالى: الصبر في القرآن في نحو تسعين موضعاً وهو واجب بإجماع الأمة. وهو نصف الإيمان. فإن الإيمان نصفان: =

اللَّه تبارك وتعالى يطلب من المؤمنين أن يستعينوا بالصبر والصلاة في أي أمر

= نصف صبر ونصف شكر. وهو مذكور في القرآن على ستة عشر نوعاً:

الأول: الأمر به. نحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥]. وقوله: ﴿ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]. وقوله: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٣٧].

الثاني: النهي عن ضده كقوله: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. وقوله: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: ١٥] فإن تولية الأدبار: ترك للصبر والمصابرة. وقوله: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾. فإن إبطالها ترك الصبر على إتمامها. وقوله: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ فإن الوهن من عدم الصبر.

الثالث: الثناء على أهله كقوله تعالى: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٧]. وقوله: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ وهو كثير في القرآن.

الرابع: إيجابه سبحانه محبته لهم كقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

الخامس: إيجاب معيته لهم، وهي معية خاصة، تتضمن حفظهم ونصرهم وتأييدهم، ليست معية عامة، وهي معية العلم والإحاطة، كقوله: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾. وقوله: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

السادس: إخباره بأن الصبر خير لأصحابه، كقوله: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾. وقوله: ﴿وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النساء: ٢٥].

السابع: إيجاب الجزاء لهم بأحسن أعمالهم. كقوله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦].

الثامن: إيجابه سبحانه الجزاء لهم بغير حساب. كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

التاسع: إطلاق البشرى لأهل الصبر. كقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

العاشر: ضمان النصر والمدد لهم. كقوله تعالى: ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥] ومنه قول النبي ﷺ: «واعلم أن النصر مع الصبر»(١).

الحادي عشر: الإخبار منه تعالى بأن أهل الصبر هم أهل العزائم. كقوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]. =

(١) جزء من حديث رواه أحمد في المسند [١/ ٣٠٧]، والحاكم في المستدرك [٣/ ٥٤١] عن ابن عباس رضي اللَّه تعالى عنهما بلفظ: «واعلم أن مع الصبر النصر». وصححه الشيخ شاكر برقم [٢٨٠٤].

obeikandl.com

في حركة الحياة يفوق طاقة المؤمن وقدرته؛ لأن أي أمر لو كان في مقدور الإنسان

= **الثاني عشر**: الإخبار أنه ما يُلَقَّى الأعمال الصالحة وجزاؤها والحظوظ العظيمة إلَّا أهل الصبر كقوله تعالى: ﴿... وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [القصص: ٨٠]. وقوله: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥].

الثالث عشر: الإخبار أنه إنما ينتفع بالآيات والعبر أهل الصبر. كقوله تعالى لموسى: ﴿... أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥].

وقوله في أهل سبأ: ﴿... فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: ١٩]. وقوله في سورة الشورى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الشورى: ٣٢، ٣٣].

الرابع عشر: الإخبار بأن الفوز المطلوب المحبوب والنجاة من المكروب المرهوب ودخول الجنة إنما نالوه بالصبر كقوله تعالى: ﴿... وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۞ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

الخامس عشر: أنه يورث صاحبه درجة الإمامة. سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه ـ يقول: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين. ثم تلا قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

السادس عشر: اقترانه بمقامات الإسلام والإيمان، كما قرنه الله سبحانه باليقين والإيمان وبالتقوى والتوكل وبالشكر والعمل الصالح والرحمة؛ ولهذا كان الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا إيمان لمن لا صبر له. كما أنه لا جسد لمن لا رأس له.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «خير عيش أدركناه بالصبر»[(١)].

وأخبر النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «أنه ضياء»[(٢)].

وقال: «من يتصبر يصبره الله»[(٣)].

وفي الحديث الصحيح: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»[(٤)]. =

(١) رواه البخاري مُعَلَّقاً بصيغة الجزم. وقال الحافظ في الفتح: قد وصله أحمد في كتاب الزهد بسند صحيح عن مجاهد قال: قال عمر: «وجدنا خير عيشنا الصبر». ورواه أبو نعيم في الحلية من طريق أحمد كذلك. ورواه عبد الله بن المبارك في كتاب الزهد من وجه آخر عن مجاهد به. فتح الباري [١١/ ٣٠٩].

(٢) رواه مسلم [٢٢٣/ ١١]، عن أبي مالك الأشعري رضي الله تعالى عنه.

(٣) رواه مسلم [١٠٥٣/ ١٢٤]، عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه.

(٤) رواه مسلم [٢٩٩٩/ ٦٤]، عن صهيب الرومي رضي الله تعالى عنه.

لما طلب المعونة، ولنا أن نسأل: متى يطلب الإنسان المعونة؟

الإنسان يطلب المعونة عند عدم القدرة. إذن.. لا بدّ أن تستوعب قدرة الإنسان الفعل فيستطيع إنجازه. ولكن ماذا يفعل الإنسان حين يجيء فعل يفوق قدرته؟ ساعتها يجب عليه أن يستعين بالقادر الذي لا تنفد قدرته أبداً.

إن هذه الآية يستطيع المؤمن أن يسير على هُداها في كل حركة في الحياة، فيقبل على الأشياء مستعيناً بمن خلق الأشياء سبحانه، ولا يستعين الإنسان بالخالق جل وعلا إلا إذا كان مؤمناً به.

وقول اللّه تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ معنى ذلك: أن الحق ينبهنا إلى أن هناك أحداثاً ستأتي لتستنفد الطاقة البشرية وتعلو عليها وتتخطاها، والصبر هنا يدل على أن هذه الأحداث فيها إيلام وفيها مشقة، وكأن الحق يعد النفس المؤمنة لعملية جهادية كبيرة قد تستنفد طاقة الإنسان العادي، لكن المؤمن يستطيع أن يتحمل مشقة الأحداث بالصبر على ما يلاقيه. إن الحق لا يُمَنِّي المؤمنين الذين اختاروا السير على الصراط المستقيم في الحياة، بأن طريق الإيمان طريق سهل خالٍ من المشاقّ. إن مهمة أهل الطريق المستقيم في الحياة أنهم أصحاب حق،

= وقال للمرأة السوداء التي كانت تصرع فسألته: أن يدعو لها: «إن شئت صبرت، ولك الجنة وإن شئت دعوت اللّه أن يعافيك». فقالت إني أتكشف فادع اللّه أن لا أتكشف. فدعا لها(١).

وأمر الأنصار رضي اللّه عنهم بأن يصبروا على الأثرة التي يلقونها بعده حتى يلقوه على الحوض(٢).

وأمر عند ملاقاة العدو بالصبر. وأمر بالصبر عند المصيبة. وأخبر: «أنه إنما يكون عند الصدمة الأولى»(٣).

وأمر ﷺ المصاب بأنفع الأمور له، وهو الصبر والاحتساب. فإن ذلك يخفف مصيبته ويوقر أجره. والجزع والتسخط والتشكي يزيد في المصيبة، ويذهب الأجر. وأخبر ﷺ أن الصبر خير كله: فقال: «ما أعطى أحد عطاء خيراً له وأوسع من الصبر»(٤).

مدارج السالكين [٢/ ١٧٤ ـ ١٧٨]

---

(١) رواه البخاري [٥٦٥٢]، ومسلم [٢٥٧٦/ ٥٤]، عن ابن عباس رضي اللّه تعالى عنهما.
(٢) رواه البخاري [٤٣٣٠]، ومسلم [١٠٦١/ ١٣٩]، عن عبد اللّه بن زيد رضي اللّه تعالى عنه.
(٣) رواه البخاري [١٢٨٣]، ومسلم [٩٢٦/ ١٤]، عن أنس بن مالك رضي اللّه تعالى عنه.
(٤) رواه البخاري [١٤٦٩]، ومسلم [١٠٥٣/ ١٢٤]، عن أبي سعيد الخدري رضي اللّه تعالى عنه.

openkanal.com

وأصحاب الحق لا تستنفر هممهم إلا حين يستشري الباطل، والباطل حين يرى دنياه تتزلزل من تحت أقدامه فهو يحاول جاهداً أن يصدَّ جنود الحق.

إن اللَّه يَعِدُ المؤمنين بأنهم سيواجهون عنفاً ويواجهون شراسة ويواجهون مكراً ويواجهون كيداً، فإياكم أيها المؤمنون أن تخور منكم القوة وأنتم تؤدون المهمة، هذه المهمة هي: إعلاء كلمة اللَّه في الأرض؛ وإخراج الناس من عبادة الناس إلى عبادة اللَّه الواحد القهار، وهذا الأمر لن يتم بيسر وسهولة، فلا بدّ من المشقة وتحمل تبعات ذلك.

إن أعداء الإسلام سيتكالبون عليكم، فكونوا أنتم أشد منهم قوة واستعينوا بالصبر. والصبر هو أن يتحمل الإنسان لونين من المشقة.

اللون الأول من المشقة هو: أن الطاعة قد تكون صعبة على النفس، فعلى المؤمن أن يصبر عليها.

واللون الثاني من المشقة هو: أن الطاعة تتطلب أيضاً أن يكفَّ الإنسان عن شهوة تلح النفس عليها[1]، وهذا أيضاً يتطلب صبراً.

---

(١) ولذلك فقد قَسَّم العلماء «الصبر» إلى أنواع، وذلك بالنسبة لما يستقبله العبد من أمور في حياته وإلى أنواع أخرى بالنسبة لعلاقة المسلم بربه، وعرَّفوا الصبر لغة وشرعاً، وها نحن نذكر كلامهم على وجه من الاختصار الغير مخل، فأنواع الصبر لما يستقبله العبد من أمور في حياته هي:

١ ـ **الصبر في اللغة**: الحبس والكف ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨] أي: احبس نفسك معهم، كما قال الإمام ابن القيم. مدارج السالكين [٢/ ١٧٨]

٢ ـ **الصبر شرعاً**: حبس النفس على ما يقتضيه الشرع، فهو حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المعاصي والبعد عن اللَّه نتيجة ظروف الحياة.

وقد قال الراغب: فالصبر لفظ عام وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه، فإن كان حبس النفس لمصيبة سُمِّيَ صبراً لا غير ويضاده الجزع.

وإن كان في محاربة سُمِّيَ شجاعة ويضاده الجبن.

وإن كان في نائبة مضجرة سُمِّيَ رحب الصدر ويضاده الضجر.

وإن كان في إمساك الكلام سمي كتماناً ويضاده المذل، وقد سمى اللَّه تعالى كل ذلك صبراً.

مفردات ألفاظ القرآن [ص٤٧٤]=

openkalam.com

إذن.. فالطاعة تتطلب صبراً في حالة تنفيذ مطلوبها، وتتطلب صبراً آخر في حالة الابتعاد عن المشقة، إن الطاعة تتطلب الصبر على القيام بعمل قد يرى الإنسان أنه شاق، وتنهى عن عمل قد يرى الإنسان أنه سهل وفيه لذة، لذلك نجد الرسول ﷺ يقول في الحديث: «حُفَّتِ الجنَّةُ بِالمكارِهِ، وحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَواتِ»(١).

الطاعة إذن تتطلب لونين من الصبر، الصبر على مشقة الطاعة لتفعلها، والصبر على ترك المعصية لتتجنبها، لكن إذا ما ظلت النفس مع اللَّه تعالى باتباع أمره واجتناب نهيه فلن تقدر أحداث الحياة أن تتسلط بالهموم على النفس الإنسانية.

إن الإنسان المؤمن ما دام في حصانة دينه فلا يقوى عليه حدث أبداً، أما الإنسان المنعزل عن منهج اللَّه فهو الذي تقوى عليه أحداث الحياة؛ لأنه يواجهها بقدرته المحدودة، وأما الإنسان المؤمن بمنهج اللَّه فهو يعيش في معية ربه القادر القدير، فلا يتغلب عليه أحد أبداً إلا إذا انعزل عن معيَّة ربه أو خالف في شيء من منهجه، فإن أراد المؤمن أن يستديم نصر اللَّه، فليظل دائماً في معية اللَّه، والحق يكون مع الصابرين؛ حتى يعلموا أن اللَّه تعالى يفرج عنهم.

إن أمر الحق للمسلمين بالصبر والصلاة، هو تجديد استدامة الولاء له سبحانه عندما هاجروا من مكة إلى المدينة، وكان اليهود فيها أصحاب شيء من العلم؛ ولهم جزء من السيطرة على الاقتصاد، لذلك جاء أمر اللَّه بالاستعانة بالصلاة لتستمر القيم التي هجرها اليهود، وأمرهم الحق بالزكاة؛ لأن الزكاة في جوهرها

= **وللصبر أنواع أخرى منها:**

١ ـ **الصبر للَّه** «فلا يرائي فيه» لقول اللَّه تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

٢ ـ **الصبر باللَّه**: قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]. وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

٣ ـ **الصبر عن اللَّه**: وهو حرام وذلك لمن ذاق حلاوة القرب من اللَّه عزّ وجلّ ثم صبر على البعد عنه بعد ذلك.

مدارج السالكين [٢/١٧٨] وما بعدها

(١) رواه البخاري [٦٤٨٧] عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، ومسلم [٢٨٢٢] عن أنس بن مالك رضي اللَّه تعالى عنه واللفظ له.

obeikandl.com

إيجاد حركة من الإنسان؛ لتسع حاجته وحاجة من يعول وتزيد، وبذلك يستغني المسلمون عن اليهود فلا يحتاجون إلى اقتصاد يسيطر عليه هؤلاء الذين لعنهم اللَّه.

إن الأمر بالزكاة كان في جوهره أمراً بزيادة الحركة في الحياة؛ ليواجه المسلمون أمور حياتهم بحزم، ويصلحوا من هذه الأمور بمنهج اللَّه.

إن الحق سبحانه وتعالى يعلم أن تبعات الإيمان، ومواجهة المؤمنين لخصوم الإيمان ستتطلب من المسلمين مشقة عنيفة، فهي تهددهم في ذواتهم وفي أهلهم وفي أموالهم؛ لذلك أراد الحق سبحانه وتعالى أن يعطي المؤمنين في هذه البيئة مناعة ضد كل هذه الأشياء، فأمرهم بالاستعانة بالصبر والصلاة، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

obeikandl.com